الفكر العربي والسلام الصهيوني

حين ننتقل الى الحديث عن النتائج المرتقبة والتوقعات المحتملة بالنسبة للاتجاهات الفكرية والعقائدية في العالم العربي ، تحت ظل السلام الصهيوني في فلسطين ، نجد من المناسب استحضار الرؤيا التي أطلقها نجيب عازوري في مطلع هذا القرن فأصبحت تتميز اليوم برصيدها التنبؤي . فقد كتب عازوري في **يقظة الامة العربية** (باريس ، ١٩٠٥) يقول : « هنالك حادثان هامان من طبيعة واحدة ولكنهما يقفان على طرفي نقيض : هما يقظة الامة العربية وسعي اليهود الخفي لاستعادة ملك اسرائيل القديم على نطاق اوسع . ان مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر ، حتى تتغلب الواحدة منهما على الاخرى . ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين »(١٥).

وعلى سبيل التبسيط ، يمكن القول بأن اعتراف العرب باسرائيل وعقد صلح معها يعني بالتالي اقرار دعوة القومية العربية بحق القومية اليهودية وعقيدتها الصهيونية في الوجود فوق أرض فلسطين . فانتصار الحركة الصهيونية على صورة انتزاع الاعتراف العربي بوجود الكيان الاسرائيلي قد لا يعني بالضرورة نهاية الصراع بين الحركتين او حسم النزاع القائم بشكل قاطع . بينما يصبح « التعايش » المتخيل بين القوميتين — فيما لو تم الوصول الى تعايش — اشبه ما يكون بتعايش في ظل السلام الصهيوني ورهنا بمشيئته الى حد بعيد . فالغلبة هي دون ريب للقومية اليهودية وعقيدتها الصهيونية ، وسوف تستمر هذه الغلبة طيلة فترة زمنية يصعب تحديدها . ويمكن اعتبار الانتصار الذي تحرزه اسرائيل بمثابة كسب للجولة القادمة ، دون الالتزام بشيء حاسم لجهة النتيجة النهائية للصراع .

ان السلام الاسرائيلي معناه رضوخ العرب لمنطق القوة الصهيوني وخضد شوكة الرفض العربي للوجود الصهيوني في فلسطين . فلو اعتبرناه رضوخا للامر الواقع وتنازلا عن جملة من المبادىء الاساسية والاماني القومية ، لجاز لنا ان نتوقع سلسلة من ردود الفعل على شتى المستويات الفكرية . ولا بأس من تعداد تلك الردود والنتائج (بشيء من التحفظ والتحسب، وعلى سبيل التجربة الاولية ازاء خلفية من الاستبطان الشخصي):

أولا : ان انتصار الصهيونية في عقد الصلح مع العرب لا يوازيه سوى الفشل الذريع من جانب التفكير العربي والممارسة العربية بنوع خاص في ايصال الحركة القومية الى ما يشبه الانتصارات الآنية او المرحلية . فهل يقدم الفكر العربي على خطوة حاسمة لتخطي ذاته واستعادة الثقة بنفسه ، أم انه سوف يلجأ الى اجترار الخيبة والانكفاء ضمن دائرة الذاتية والقصور ؟ **ثانيا** : ليس بمستبعد ابدا ان يصاب « علم النكبة » و« أدب النكسة » و« هول الكارثة » بنوع من التضخم والتخمة . ولا نغالي اذ نقول بأن هذا « التسامي » والتصعيد اللفظي لا يعدو كونه بديلا مرضيا لارادة القتال او مرارة العجز والقصور . **ثالثا** : ربما أسهم « السلام الاسرائيلي » في شحذ « الوجدان الشقي » لدى المفكر العربي الملتزم بقضايا الشعب المصيرية فأدخل الى روعه القنوط واليأس الى جانب النقمة العاجزة عن ترجمة لواعجها الى فعل وعمل . وهناك احتمال بأن يتم القضاء على البقية الباقية من ايمان المثقفين العرب بفكرتين شهدتا أسوأ انواع الممارسة والتطبيق خلال العقود الاخيرة من تاريخ العرب الحديث ، وهما : فكرة الوحدة العربية وفكرة الاشتراكية أو البناء الاشتراكي . **رابعا** : من المحتمل ان تشهد ساحة الايديولوجيات العربية انحسارا لموجة الافكار التقدمية ، يقابله ارتفاع مد الرجعية والسلفية الى حدود لم تكن مألوفة من قبل . ان هذه الردة الرجعية سوف تحمل في طياتها بذور ارتباط أوثق بالقوى الامبريالية التي تقف وراء اسرائيل وتستخدم الدولة الصهيونية كأداة لتحقيق مآربها وحماية مصالحها في المنطقة العربية. **خامسا** : سوف يتزعزع ايمان الفكر العربي بحق الشعوب في تقرير مصيرها أيما تزعزع ، ويرسخ في وجدان العرب الحديث ذلك